

فوائد ودرر

الصحابة المفتون

الصحابة الذين تدور عليهم الفتاوى والأحكام سبعة وعشرون صاحب

قال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٥ / ٩٢ ، ٩٣):

المكثرون من الصحابة -رضى الله عنهم- فيما روي عنهم من الفتيا:

عائشة أم المؤمنين — عمر بن الخطاب — ابنه عبد الله — علي بن أبي طالب — عبد الله بن العباس — عبد الله بن مسعود — زيد بن ثابت

فهم سبعة يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر صخم وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين

المأمون فتيا عبد الله بن العباس في عشرين كتابا وأبو بكر المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث.

والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا -رضى الله عنهم-: أم سلمة أم المؤمنين — أنس بن مالك — أبو سعيد الخدري — أبو هريرة — عثمان بن عفان — عبد الله بن عمرو بن العاص — عبد الله بن الزبير — أبو موسى الأشعري — سعد بن أبي وقاص — سلمان الفارسي — جابر بن عبد الله — معاذ بن جبل — وأبو بكر الصديق.

فهم ثلاثة عشر فقط يمكن أن يجمع من فتيا كل امرئ منهم جزء صغير جداً

ويضاف أيضا إليهم: طلحة — الزبير — عبد الرحمن بن عوف — عمران بن الحصين — أبو بكر — عبادة بن الصامت — معاوية بن أبي سفيان

والباقون منهم -رضى الله عنهم- مقلون في الفتيا لا يروي الواحد منهم إلا المسألة والمسألان والزيادة اليسيرة على ذلك فقط يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث.

أجرؤ الناس على الفتيا:

ذكر الذهبي في مواضع متعددة من كتابه الممتع سير أعلام النبلاء

* قال سحنون: أجرؤ الناس على الفتيا أقلهم علماً.

* قال ابن شبرمة: دخلت على محمد بن سيرين بواسط، فلم أر أجبن من فتوى منه، ولا أجرأ على رؤيا منه.

* وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأنصار، إذا سئل أحدهم عن شيء، ودَّ أن أخاه كفاه.

* قال علي بن المديني: كان سفیان إذا سئل عن شيء، يقول: لا أحسن. فنقول: من نسأل؟ فيقول: سل العلماء، وسل الله التوفيق.

* وقال الشافعي: ما رأيت أحداً فيه من آلة العلم ما في سفیان بن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه، قال: وما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث منه.

واعلم أن على الحق نوراً

عن ابن شهاب، أن أبا إدريس الخولاني عاين الله، أخبره أن يزيد بن عميرة - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - أخبره قال: كان لا يجلس مجلساً للذكر حين يجلس إلا قال: "الله حكّم قسط هلك المرتابون"، فقال معاذ بن جبل يوماً: "إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذها المؤمن والمنافق، والرجل، والمرأة، والصغير، والكبير، والعبء، والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فأياكم وما

ابْتَدَعَ، فَإِنَّ مَا ابْتَدَعَ ضَلَالَةً، وَأَحْذَرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ"، قَالَ: قُلْتُ لِمَعَاذِ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: "بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهَرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ، وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا". [٢١]

بدعة البيعة الحزبية:

قال مطرف بن عبد الله الشخير (ت ٨٦هـ): كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول: يا عباد الله، أكرموا وأجملوا، وإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين: الخوف والطمع. فأثبته ذات يوم وقد كتبوا كتابا، فنسقوا كلاما من هذا النحو: إن الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن إمامنا، ومن كان معنا كنا وكنا، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا. قال: فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلا رجلا، فيقولون: أقررت يا فلان؟ حتى انتهوا إلي فقالوا: أقررت يا غلام؟ قلت: لا، قال زيد بن صوحان: لا تعجلوا على الغلام، ما تقول يا غلام؟ قلت: إن الله قد أخذ علي عهدا في كتابه، فلن أحدث سوى العهد الذي أخذه علي. فرجع القوم من عند آخرهم ما أقر منهم أحد. وكانوا زهاء ثلاثين نفسا (السير ١٩٢/٤).

هجر المبتدعة وترك مجالستهم:

* قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون (٢٨٥/١١).

* ولقي الإمام الأوزاعي ثور بن يزيد الحمصي - وقد رمي بالقدر - فمد ثور يده إليه، فأبى الأوزاعي أن يمد إليه يده، وقال: يا ثور! لو كانت الدنيا لكانت المقاربة، ولكنه الدين (٢١) [٢١]

* وكان العلامة أبو يوسف القروي رأسا في الاعتزال، فصنف تفسيرا في ثلاثمائة مجلد ونيف، وقال: من قرأه علي وهبت له النسخة، فلم يقرأه أحد (٦١٧/١٨).

المولعون بالكتابة:

* كان أبو إسحاق الجرجاني الحافظ يكتب في الليلة تسعين ورقة بخط دقيق.

قال الذهبي في السير (٥٤/١٣): هذا يمكنه أن يكتب صحيح مسلم في أسبوع.

* ومكث الإمام محمد بن جرير الطبري أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة (السير ٢٧٦/١٤).

حرص العلماء على الكتب ونسخها واقتنائها:

* وترك محمد بن مكرم الرويفعي الإفريقي (٦٣٠هـ - ٧١١هـ) بخط يده خمسمائة مجلد.

قال الصفدي: رأيت كتاب الصحاح للجوهري في مجلدة واحدة بخطه في غاية الحسن. ولم يزل يكتب إلى أن أضر وعمي في آخر عمره، رحمه الله.

* وكان شافع بن علي الكناني العسقلاني (٦٤٩هـ - ٧٣٠هـ) جماعة للكتب حتى إنه خلف ثمانية عشر خزانة كتباً نفائس أدبية، وكان أعمى لكنه إذا لمس الكتاب وجسه قال: هذا الكتاب الفلاني، ملكته في الوقت الفلاني. وإذا أراد أي مجلد كان قام إلى الخزانة التي هو فيها وتناولها منها كأنه الآن وضعه.

* وكان للقاضي الفاضل محيي الدين هوس مفرط في تحصيل الكتب، عنده نحو مائتي ألف كتاب (٣٤٣/٢١).

أنفع الكتب لطالب العلم:

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - وكان أحد المجتهدين - ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل "المحلى" لابن حزم، وكتاب "المغني" للشيخ موفق الدين.

قال الذهبي في السير (١٩٣/١٨): لقد صدق الشيخ عز الدين. وثالثها: "السنن الكبير" للبيهقي، ورابعها: "التمهيد" لابن عبد البر. فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكى المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقاً.

والحمد لله رب العالمين

[١] أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٥٠)، وأبو داود (٤٦١١)، والحاكم ٤/٤٦٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

[٢] قد نُفي ثور وأُحرقت داره من أجل الكلام في القدر، ولكن قال الذهبي: والظاهر أنه رجع، فقد روى أبو زرعة عن منبه بن عثمان أن رجلاً قال لثور: يا قدرتي! فقال: إن كنت كما قلت إني لرجل سوء، وإن كنت على خلاف ما قلت إنك لفي حل (٣٤٤/٦-٣٤٥).